شُبهات المُستشرقين اليهود
حول قدسيّة بيت المقدس -دراسة نقديّة-

Suspicions of the Jewish Orientalists about the Sanctity of Jerusalem: A Critical Study

بحث مقدّم لمؤتمر الكليّة العلوم الإسلاميّة بالجامعة العراقية
(القضيّة الفلسطينيّة تحدياتها وآفاقها وتأثيراتها في الواقع المعاصر)
للمدة ٢٢-٢٣/٤/٢٠٢٥م

بحث مقدّم من الباحث

م.م. إبراهيم نجم عبد الرحمن

Ibrahim Najm Abdulrahman

ibrahim.n.abdulrahman@aliraqia.edu.iq

مُلخّص البحث

يتناول هذا البحث، والمعنون بـ«شُبهات المستشرقين اليهود حول قدسيّة بيت المقدس -دراسة نقديّة-» الدِّراسات التي كتبها عدد من المستشرقين اليهود في الطّعن بقدسيّة بيت المقدس، والتّشكيك في مكانته لدى المسلمين. يُركِّزُ البحث على تحليل ونقد مجموعة من الشُّبهات التي أُثيرت بهدف التّشويش على الحقائق العلميّة والتّاريخيّة المرتبطة ببيت المقدس، ومن أبرز هذه الشّبهات: حداثة قدسيّة المسجد الأقصى والادّعاء بأنّ قدسيّته لدى المسلمين جاءت متأخِّرة في فترات لاحقة استجابة لأحداث سياسية ودينية. كما تناول البحث شبهات عدد من المستشرقين اليهود في تأويل حادثة الإسراء والمعراج، وأنّ هذه الحادثة مجرّد رمز معنوي ليس له حقيقة على أرض الواقع، وتناول البحث كذلك شُبهات المستشرقين اليهود حول الدّوافع السياسيّة عند حكام المسلمين في بناء قبّة الصّخرة.

يهدف البحث إلى دراسة هذه الادّعاءات من جوانبها المتعدِّدة، مع اعتماد منهجيّة علميّة نقديّة تقوم على التّحليل العلمي والتّاريخيّ لشبهات هؤلاء المستشرقين حول قدسيّة بيت المقدس ثمّ نقدها وبيان ضعف أسسها، كما يسعى البحث إلى تسليط الضوء على دوافع المستشرقين اليهود وأهدافهم في تبنّي هذه الشّبهات وإثارتها.

الكلمات المفتاحيّة: الشبهات، المستشرقين اليهود، بيت المقدس، الإسراء والمعراج.

Abstract:

This study critically examines the claims made by several Jewish Orientalists who question the sanctity of Jerusalem in Islamic tradition. The research focuses on analyzing and refuting specific allegations aimed at undermining the historical and religious significance of Jerusalem, particularly the al-Aqsa Mosque, in Islam. Key contentions addressed include the assertion that the sanctity of al-Aqsa Mosque is a later development influenced by political and religious events, and interpretations of the Isra and Mi'raj as purely symbolic narratives without historical basis. The study also scrutinizes claims that Muslim rulers constructed the Dome of the Rock for political motives rather than religious devotion. Employing a critical methodology grounded in historical and textual analysis, the research aims to demonstrate the weaknesses in these Orientalist arguments and to highlight the underlying motives behind such claims.

Keywords: Jewish Orientalists, Bayt al-Maqdis, Isra and Mi'raj.

في هذه البحث العلمي نستعرض أطروحات بعض المستشرقين اليهود الذين شككوا في قدسيّة بيت المقدس، ونكشف أوجه الضعف المنهجي والعلمي في بحوثهم، ونعيد بناء الفهم التاريخي لقدسية الأقصى بناءً على نصوص القرآن والسُّنّة والإرث التّاريخي، كما نُبيّن الصلات الخفية بين تشكيكات هؤلاء المستشرقين وخلفياتهم الفكريّة والسياسيّة غير المنصفة.

إشكاليّة البحث:

ما هي أبرز الشُّبهات التي أثارها المستشرقون اليهود حول قدسيّة بيت المقدس؟ وما مدى مصداقيتها من منظور علمي وتاريخي؟ وما هي الدوافع الكامنة وراء تبنّي هذه الطروحات؟

أهداف البحث:

١. تحليل الشُّبهات التي أثارها المستشرقون اليهود حول قدسيّة بيت المقدس.
٢. نقد هذه الشُّبهات علميًّا وتاريخيًّا.
٣. بيان ضعف الأسس التي تقوم عليها تلك الادّعاءات.
٤. دراسة الدوافع والأهداف التي تقف وراء تبنّي المستشرقين اليهود لهذه الشُّبهات.

منهجيّة البحث:

- المنهج الوصفي التحليلي: ويهدف إلى رصد الشُّبهات ودراسة مضمونها.
- المنهج النقدي: يقوم بنقد هذه الشُّبهات وفق أسس علميّة وتاريخيّة.

محاور البحث:

١- الشُّبهات حول حداثة قدسيّة المسجد الأقصى: تحليل الادّعاء بأنّ قدسيّته لدى المسلمين جاءت متأخِّرة استجابة لأحداث سياسية ودينية.

٢- تأويل حادثة الإسراء والمعراج: دراسة الادّعاء بأنّ حادثة الإسراء والمعراج رمزية ومعنوية وليست واقعية.

٣- الدّوافع السّياسية وراء بناء قبة الصخرة: تحليل شُبهات المستشرقين حول دوافع الحكام المسلمين في بناء قبة الصخرة.

٤- الدّوافع والأهداف وراء إثارة هذه الشُّبهات: تسليط الضوء على أهداف المستشرقين ودوافعهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد: فإنّ لبيت المقدس مكانةً عظيمةً في الإسلام، فهو ثالث المساجدِ المعظَّمة التي تشدُّ لها الرِّحال، وثاني مسجدٍ وضِعَ في الأرض لعبادة الله تعالى، ومسْرَى الرّسول صلى الله عليه وسلم ومعراجه إلى السماوات العُلى، بالإضافة إلى العديد من الفضائل والمناقب التي اختص الله بها هذا المسجد المبارك. وقد أولى المسلمون عبر التّاريخ اهتمامًا بالغًا ببيت المقدس، فعظّموه وعمّروه، كما أُلّفت في بيان فضائله العديد من المصنّفات القيمة.

وقد سعى عددٌ من الباحثين المستشرقين اليهود إلى الطّعن في قدسيّة المسجد الأقصى والتّشكيك في مكانته عند المسلمين، باندفاع متحيِّز يفتقر إلى المنهج العلمي في البحث والتحرير. من هؤلاء المستشرقين:

إسحاق حسّون[١] (Isaac Hasson)

قام بتأويل آية الإسراء في القرآن الكريم لإنكار ارتباط «المسجد الأقصى» بالقدس، وزعم أن المقصود مكانٌ سماوي وليس الأرضي. كما شكك في الأحاديث النبوية المتعلقة بفضائل القدس، وادعى أنها وُضعت في العصر الأموي لأغراض سياسية[٢].

وقال في بحثه: منذ بداية القرن الثاني الهجري (القرن الثامن الميلادي) ظهرت أعمال مختلفة تحمل عناوين مثل أخبار أو تاريخ أو فضائل مكة أو المدينة المنورة، ولاحقًا العديد من البلدان أو المدن مثل بغداد وواسط ومرو وحمص وقزوين والشهب ومصر والأندلس. ومن الجدير بالذكر أن القدس غائبة عن هذه القائمة. وقد ذكر العسلي ومحمود إبراهيم، بعد حاجي خليفة، أبو حذيفة

(١) عمل في الجامعة العبرية بالقدس، وأصدر دراسات تنفي الروايات الإسلامية حول تسليم المدينة لعمر بن الخطاب، وترجح روايات بديلة لفتحها.

(٢) The Muslim View of Jerusalem- The Qur'an and the Hadith in Joshua Prawer and Haggai Ben-Shammai (eds.), The History of Jerusalem the Early Muslim Period ٦٣٨-١٠٩٩, Jerusalem - New York ١٩٩٦.

النظرة الإسلامية إلى القدس -القرآن والحديث- تاريخ القدس في الفترة الإسلامية المبكرة ٦٣٨-١٠٩٩م. مقالة نشرت في القدس - نيويورك، سنة ١٩٩٦م، في ٣٨صفحة، منشورة في researchgate.

إسحاق بن بشر القرشي البخاري (ت. ٢٠٦ هـ؛ ٨٢١ م) كأقدم مؤلف لرسالة تتعلق بالقدس - ك. فتوح بيت المقدس (فتح القدس) - ولكن مصادر أخرى تسمي هذه الرسالة ك. الفتوح دون أي ذكر خاص للقدس.٣ عمل موسى بن سهل بن. ويبدو أن كتاب «من نزل فلسطين من الصحابة» للقادم الرملي النيسابوري (ت. ٢٦١ هـ؛ ٨٧٤-٨٧٥ م)، قصير جدًا (ورقة أو ورقتان فقط)، وقد استشهد به بالتفصيل في رسائل لاحقة.

وقال أيضًا: أقدم عمل يتعلق بالقدس وبالتحديد بمديحها، على حد علمي، هو كتاب فضائل بيت المقدس لأبي بكر بن حماد الرملي (ت. حوالي ٣٠٠ هـ؛ ٩١٢-٩١٣ م)

إيجناز جولدزيهر[١] (Ignác Goldziher)

كان واحدًا من أبرز المستشرقين الأوروبيين اليهود، متحامل كثيرا على السنة النبوية، وله كلام حول قدسية بيت المقدس والرِّوايات التي جاءت في فضله.

موشيه شارون[٢] (Moshe Sharon)

أنكر وجود ارتباط ديني إسلامي مبكر بالقدس، وادّعى أنّ قدسيتها ظهرت متأخرةً لأسباب سياسية. ركز على تحليل النقوش الأموية ليدعم فرضياته، وصنَّف في ذلك كتاب جمع فيه الكتابات والنقوش الإسلاميّة القديمة، بعنوان: «مجموعة النقوش العربية في فلسطين» Corpus Inscriptionum Arabicarum Palaestinae (CIAP)

أوفير ليفين (Ofer Livne)

قدّم أطروحته في مرحلة الدكتوراه عام ١٩٨٥ حول قدسيّة القدس في الأدبيات الإسلامية،

(١) مستشرق يهودي مجري، وُلِدَ جولد تسيهر سنة ١٨٥٠م، وتوفي سنة ١٩٢١م.
https://www.iicss.iq/?id=sid&١٤=٩٧

(٢) وُلد في ١٨ ديسمبر ١٩٣٧ في حيفا، فلسطين المحتلة، مؤرخ إسرائيلي متخصص في الدراسات الإسلامية والشرق أوسطية، ويُعتبر من أبرز الأكاديميين الإسرائيليين في هذا المجال. تلقى تعليمه في الجامعة العبرية في القدس، حيث حصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي عام ١٩٧١، ودرَّس فيها لاحقًا كأستاذ للدراسات الإسلامية حتى تقاعده. كما عمل مستشارًا لرئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيغن في الشؤون العربية.

وحاول إثبات أنّ هذه القدسيّة نتاج تطورات سياسية وليست دينية أصيلة[١].

مائير يعقوب قسطر[٢] (Meir Jacob Kister)

له كلام عن قدسيّة بيت المقدس، ويرى أنّ القدسيّة جاء في وقت متأخر من الهجرة.

وهناك مستشرقين يهود آخرون سوى من ذكرناهم أثاروا العديد من والشُّبهات، وقد انبرى لدحض هذه الشُّبهات نخبة من الباحثين فبيَّنوا ضَعف هذه الادّعاءات وبطلانها، مستندين في ردودهم على المنهجيّة العلميّة الدّقيقة في تناول هذه المطاعن والشُّبهات.

ومن هذه البحوث القيِّمة التي استفدتُ منها ونقلتُ عنها، وهي بحوث مهمة ومفيدة في بابها:

١. أدب فضائل المدن في دراسات المستشرقين اليهود فضائل بيت المقدس. للأستاذ عبد اللطيف زكي أبو هاشم، وهو بحثٌ جيد تناول فيه الباحث مطاعن المستشرقين اليهود في فضائل بيت المقدس عند المسلمين، وقد اتسم بحثه بالمنهجية والموضوعية. نشر هذا البحث في المؤتمر الدوليّ لنصرة القدس الأول المنعقد في كلٍّ من «القدس المحتلة -فك الله أسرها وأعز أهلها- كما نشر في غزة، وبيروت، في سنة ٢٠٠٧م

٢. دفاع عن السُنَّة ورد شبه المُسْتَشْرِقِينَ والكتاب المعاصرين، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ) مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة، سنة ١٩٨٥م، في ٢٨٥ صفحة.

٣. من قضايا الفكر الإسلامي كما يراها بعض المستشرقين ص ٣٤٩-٣٥٠، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا ١٩٨٨م.

٤. الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، تأليف: إبراهيم عبد الكريم، دار الجيل للنشر، ١٩٩٢م، في ٢٣ صفحة.

٥. الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، في ٧١ صفحة.

---

(١) Ofer Livne-Kafri Resume/CV | University of Haifa, Dept. of Arabic Language and Literature, Faculty Member

(٢) مستشرق إسرائيلي من أصل يهودي، وُلد في بولندا عام ١٩١٤ وانتقل إلى فلسطين عام ١٩٣٩. حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في الدراسات العربية من الجامعة العبرية في القدس، وتولى منصب أستاذ للغة والأدب العربي فيها حتى تقاعده عام ١٩٨٣. https://www.iicss.iq/?id=١٤&sid=٢٠٥٨

٦. الأسباب التي أدت إلى تأخر الكتابة المتخصصة في فضائل القدس، ورد بعض شبه المستشرقين حول قدسية بيت المقدس للدكتور محمود إبراهيم -الأستاذ بالجامعة الأردنية- بحث قيم ضمّنه كتابه الذي هو بعنوان «فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربيّة قديمة» في ٥١ صفحة.

شبهات المستشرقين اليهود حول قدسية بيت المقدس:

الشبهة الأولى: حداثة قدسيّة المسجد الأقصى، والادّعاء بأنّ قدسيّته لدى المسلمين جاءت متأخِّرة استجابة لأحداث سياسية ودينية

يقول أ.د. قسطر: «في بداية القرن الثاني ظهر إجماع بين علماء المسلمين حول قداسة هذه المساجد الثلاثة وقداسة البلدان الثلاثة، وقد ظهر هذا في الأدب المتعلق بهذه المدن. وقد ظهرت اتجاهات قديمة لتأكيد قدسية مكة، أو قدسية كل من: مكة والمدينة، والتقليل من قداسة القدس. وهذه النزعات والاتجاهات ظهرت في أحاديث مبكرة، وقد حفظ جزء منها في الأحاديث المعترف بها، وهذه الأحاديث التي من الممكن أن تكون قد سبقت إجماع المسلمين حول الحديث المتعلق بالمساجد الثلاثة»(١).

كما يقول عوفر ليفنين: أن: «الأحاديث المتعلقة ببيت المقدس انتشرت بشكل واسع في العهد الأموي. حيث لم يتم إيجاد أول مجموعتين تختصان بالنوع الأدبي لفضائل بيت المقدس إلاّ في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي.

ويقرر الباحث «ليفنين» الجهات التي قامت على كاهلها فضائل بيت المقدس فيذكر منها: «زهاد أوائل المسلمين الأتقياء، والسلاطين الأمويين، والقصاص المسلمين «مروجي القصص»(٢)

الرد على الشُّبهة:

١- ذكر القرآن الكريم المسجد الأقصى قبل الهجرة؛ حيث إن آية الإسراء نزلت قبل الهجرة بنحو عام، وقد أشارت بالنص إلى «المسجد الأقصى» المفهوم تاريخيًا على أنه المسجد الواقع في بيت المقدس.

٢- جاءت أحاديث صحيحة متواترة: وردت أحاديث في مسند الإمام أحمد وأشهر الكتب الصحيحة (البخاري والمسلم) عن السفر إلى ثلاثة مساجد تضمّ المسجد الأقصى، وقد نقلها

(١) راجع بحث « قسطر « (لا تشد الرحال) ص٣.

(٢) نفس المصدر السابق ص٢.

صحابة ثقات عن النبي ﷺ مثل أبي هريرة وأنس بن مالك؛ ففي الصحيحين: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ؛ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»(١). وحديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلُ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ قَالَ: ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَالَ: أَرْبَعُونَ ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ وَالْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ»(٢). وحديث عَوْف بْن مَالِكٍ، قالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وهو فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ»(٣). ثمّ ساق تتمة الحديث.

قلت وهذه النصوص الصّحيحة والتي وصل بعضها حدّ التواتر كما هو الحال في حديث «لا تشد الرّحال» حيث رواه جملة مباركة من الصّحابة(٤)، وهي تشير بوضوح وصراحة إلى فضل بيت المقدس وقدسيته وأن ذلك جاء به الوحي بالتوجيه.

٣- إجماع علماء المتقدمين في تفسيرهم لآية المسجد الأقصى، وأحاديث فضل المسجد الأقصى أنه هو نفسه مسجد بيت المقدس الكائن في مدينة القدس.

٤- ذهب عدد من المستشرقين اليهود إلى أنّ قداسة البيت المقدس استُحدثت في العهد الأموي وهذا ينافي ما جاءت به الرّوايات التاريخيّة الصّريحة التي توثّق زيارة أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب إلى القدس لاستلام المدينة من النّصارى الذين كانوا يحكمونها آنذاك، وقد صلّى في أرض بيت المقدس ركعتين في مكان المسجد القِبْليّ إمامًا بالصّحابة، وأزال الوسخ عن قبّة الصخرة(٥)، ولم يُؤثر عن أمير المؤمنين عمر أنه غادر المدينة إلا للحج ولاستلام مدينة القدس، مما يدل بشكل قاطع على مكانة بيت المقدس في نفوس الصحابة قبل قيام الدولة الأموية بسنوات عديدة.

---

(١) صحيح البخاري، باب فضل الصلاة في مسجد مكّة والمدينة، حديث رقم ١١٨٩، وصحيح مسلم، باب لا تشد الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد، حديث رقم ١٣٩٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ٣٤٢٥.

(٣) صحيح البخاري، باب فضل الصلاة في مسجد مكّة والمدينة، حديث رقم ١١٨٩، وصحيح مسلم، باب لا تشد الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد، حديث رقم ١٣٩٧.

(٤) راجع كتاب: جزء في جمع طرق حديث «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ؛ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى» للأستاذ أبي الحسن أسامة القعيطي، في ٩٣ صفحة.

(٥) يُنظر القصة بتمامها في تاريخ الطبري ٦٠٧/٣.

الشُّبهة الثانية: تأويل حادثة الإسراء والمعراج من خلال ادّعاء أنّ حادثة الإسراء والمعراج رمزية ومعنوية وليست واقعية

يربط جولد تسيهر بين تطوّر الرّوايات الصوفية والرّوحانيّة في الإسراء المعراج، معتبرًا أنّها حملت رمزية ترتبط بـ «العروج الباطني» للروح أكثر من انطلاق جسدي فيه وعي محسوس(١).

الرّد على الشُّبهة:

١- لم يؤثر عن أحد من الصّحابة أو التّابعين في أنّ بيت المقدس كان في السماء وأن لا علاقة له برحلة الإسراء. وذهب جمهور العلماء إلى أنّ الإسراء كان يقظة بالجسد والرُّوح، فرّجحوا ظاهر الأحاديث على مَن قال أنّه كان رحلةً مناميّة، أو أنه كان بالروح فقط، ولم يثبت في حديث صحيحٍ ما يدلّ على تأويله، بل ثبت أنه كان بالروح والجسد.

٢- إذا كانت رحلة الإسراء والمعراج رحلة بالروح، أو مناميّة لما ثارت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم وأنكرت عليه أن أُسرِيَ به إلى المسجد الأقصى ثمّ عُرِجَ به إلى السماوات.

٣- كيف هو في السماء، وقد بارك الله حوله؟ وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم بفتحه؛ كما مرّ في الرِّوايات قبل قليل: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ..» صحيح البخاري. وكيف يكون في السماء؛ وهو ثاني بيت وُضِعَ للنّاس كما جاء في الصحيحين.

الشُّبهة الثّالثة: كان الدّافع من عمارة بيت المقدس ووضع قبّة الصّخرة هو صرف المسلمين إلى الشّام وإقامة الحج في القدس، بسبب دوافع سياسية في الدولة الأموية.

يدّعي جملة من المستشرقين اليهود أن ارتباط المسلمين ببيت المقدس بدأ فقط مع بناء قبة الصخرة في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٨-٧٢ هـ/٦٨٨-٦٩٢ م)، متجاهلين مكانة القدس في الإسلام منذ بداية الرسالة النبوية.

يعد «جولد تسيهر» المستشرق اليهودي المجري المرجع الأساس للكثير ممن كتب من الباحثين اليهود حول القدس والمسجد الأقصى، وهو من أوائل من شككَّ في الأحاديث التي جاءت بفضل المسجد الأقصى وبركته. بل تعدى ذلك بقوله إن القسم الأكبر من الحديث النبوي ليس إلا نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنيين الأول والثاني!!

ودلل على ذلك بزعمه: «أن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير، وأنه بنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة، وزعم أيضًا

(1)https://www.researchgate.net/publication/285853786_Islamic_Studies_and_Religious_Reform_Ignaz_Goldziher_-_A_Crossroads_of_Judaism_Christianity_and_Islam

أن عبد الملك أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية، فوجد الزهري وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعدًا لأن يضع له أحاديث كحديث: «لا تشد الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد» وزعم أن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهري فقط»!

الرّد على الشُّبهة[1]:

١- لا شك أن بناؤها -كما يزعم جولد تسيهر- لتكون بمثابة الكعبة يحج الناس إليها بدلاً من الكعبة، حادث من أكبر الحوادث وأهمها في تاريخ الإسلام والمسلمين، فلا يعقل أن يمر عليه هؤلاء المؤرّخين مرّ الكرام، وقد جرت عاداتهم أن يدونوا ما هو أقل من ذلك خطرًا أو أهميّة.

٢- لا نعلم أحدًا النقاد المحدِّثين اتهم الزهري بأمانته وصدقه. وقد قال عنه الأمام أحمد: «الزهري أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً « وقال عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب: «هو الفقيه أبو بكر الحافظ المدني أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام».

٣- ولد الزهري سنة إحدى وخمسين أو ثمان، ومقتل عبد الله بن الزبير كان سنة ثلاث وسبعين، فيكون عمر الزهري حينذاك على الرواية الأولى اثنين وعشرين عاماً، وعلى الثانية خمسة عشر عاماً، فهل من المعقول أن يكون الزهري في تلك السن ذائع الصيت عند الأمة الإسلامية بحيث تتلقى منه بالقبول حديثاً موضوعاً يدعوها فيه للحج إلى القبة بدلاً عن الكعبة؟

٤- إن نصوص التاريخ قاطعة بأنّ الزهري في عهد ابن الزبير لم يكن يعرف عبد الملك ولا رآه بعد، فالذهبي يذكر لنا أن الزهري وفد لأول مرة على عبد الملك في حدود سنة ثمانين، وابن عساكر روى أن ذلك كان سنة اثنتين وثمانين، فمعرفة الزهري لعبد الملك لأول مرة إنما كانت بعد مقتل ابن الزبير ببضع سنوات، وقد كان يومئذ شاباً بحيث امتحنه عبد الملك، ثم نصحه أن يطلب العلم من دور الأنصار، فكيف يصح الزعم بأن الزهري أجاب رغبة صديقه عبد الملك فوضع له حديث بيت المقدس ليحج الناس إلى القبة في عهد ابن الزبير؟

٥- إن حديث لا تشد الرحال .... إلخ. روته كتب السنة كلها، وهو مروي من طرق مختلفة غير طريق الزهري، فقد أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري من غير طريق الزهري. ورواه مسلم من ثلاث طرق إحداها من طريق الزهري وثانيهما من طريق جرير عن ابن عمير عن قزعة عن أبي سعيد، وثالثهما من طريق ابن وهب عن عبد الحميد عن عمران بن أبي أنس عن سلمان الأغر عن أبي هريرة. فالزهري لم ينفرد برواية هذا الحديث، كما يزعم جولد تسيهر، بل شاركه فيه غيره.

(١) رد على هذه الشُّبهة وفنّدها الدكتور مصطفى السِّباعي، وقد أفدت منه ولخّصت بعض كلامه.

٦- إن هذا الحديث رواه الزهري عن شيخه سعيد بن المسيِّب، ومن المعلوم أن سعيدًا ما كان ليسكت عن الزهري لو أنه وضع هذا الحديث على لسانه إرضاء لأهواء الأمويين، وهو الذي أوذي من قبلهم وضرب، وقد توفي سعيد (سنة ٩٣) من الهجرة أي بعد مقتل ابن الزبير بعشرين سنة، فكيف سكت سعيد عن هذا كل هذه المدّة، وقد كان جبلاً في الحق لا يبالي في الله لومة لائم؟

٧- لو فرضنا أن الزهري وضع هذا الحديث إرضاء لعبد الملك، فلم لم يصرح فيه بفضيلة قبة الصّخرة وقد أراد عبد الملك أن يحج الناس إليها؟ كل ما في هذا الحديث وما صححوه من أحاديث بيت المقدس فضل الصلاة فيه، وفضل زيارته غير مقيّدة بوقت معين، وهذا شيء أثبته القرآن جملة، فأين هذا مما يريده عبد الملك من الحج إلى القبة بدلاً من الكعبة في أيام الحج.

في الختام؛ إنّ النّقد الموجَّه لمنهجيّة المستشرقين اليهود لا يُقصَدُ به التقليل من قيمة أي إنجاز علمي حقيقي يمكن أن يقدِّموه، بل يهدف إلى إبراز مظاهر التحيّز المنهجي والسياسي التي تتخلل أعمالهم، وكما قيل قديمًا: «المُتحيِّزُ لا يميِّزُ» فقد بات واضحًا أنّ كثيرًا من البحوث التي صاغها هؤلاء المستشرقون امتلأت بالافتراءات والتفسيرات الانتقائية التي تهدف إلى خدمة أجندات سياسية أو فكرية معينة، بعيدًا عن الأمانة العلمية المطلوبة.

إن تناول قضايا مثل قدسيّة المسجد الأقصى وارتباط المسلمين ببيت المقدس لا يمكن أن يكون بمعزل عن السّياق التاريخي والديني الذي تشكّلت فيه هذه الحقائق؛ فالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة، إلى جانب شواهد التاريخ الموثّقة، وإجماع العلماء المسلمين، جميعها تؤكد مكانة المسجد الأقصى كجزء أساسي من العقيدة الإسلامية. هذه الشواهد تُفَنِّد بشكل قاطع المزاعم التي تحاول تصوير هذا الارتباط كظاهرة مستحدثة أو مؤقتة.

ومن هنا تبرز الحاجة إلى التعامل مع الدِّراسات الاستشراقية بحذر ووعي نقديّ، مع التمييز بين ما هو موضوعي ويستند إلى أسس علمية، وما هو متحيز ويميل إلى تأويل الوقائع لصالح روايات بعيدة عن الحقيقة. الردّ على هذه الشبهات لا يقتصر على التفنيد العلمي فقط، بل لا بد أن يشمل أيضًا تقديم الصورة الصحيحة بناءً على المصادر الموثوقة والإرث الحضاري للإسلام.

إن مثل هذه الشبهات التي أثارها المستشرقون اليهود حول المسجد الأقصى وبيت المقدس، تؤكد أهميّة تعزيز البحث الأكاديمي النزيه الذي يهدف إلى نشر الحقائق بدلًا من تشويهها.

أهم المصادر والمراجع:

١. أدب فضائل المدن في دراسات المستشرقين اليهود فضائل بيت المقدس. للأستاذ عبد اللطيف زكي أبو هاشم، وهو بحثٌ جيد تناول فيه الباحث مطاعن المستشرقين اليهود في فضائل بيت المقدس عند المسلمين، نشر هذا البحث في المؤتمر الدوليّ لنصرة القدس الأول المنعقد في كلٍّ من «القدس المحتلة -فك الله أسرها وأعز أهلها- كما نشر في غزة، وبيروت، في سنة ٢٠٠٧م

٢. الأسباب التي أدت إلى تأخر الكتابة المتخصصة في فضائل القدس، ورد بعض شبه المستشرقين حول قدسية بيت المقدس للدكتور محمود إبراهيم -الأستاذ بالجامعة الأردنية- بحث قيم ضمّنه كتابه الذي هو بعنوان «فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربيّة قديمة» في ٥١ صفحة.

٣. الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، تأليف: إبراهيم عبد الكريم، دار الجيل للنشر، ١٩٩٢م، في ٢٣ صفحة.

٤. الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، تأليف: فالح بن محمد بن فالح الصغير، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، في ٩٩ صفحة.

٥. الإمام الزهري وأثره في السنة، تأليف د. حارث الضاري، سنة ١٩٨٥م، في ٥٢٣ صفحة.

٦. تاريخ الرسل والملوك = تاريخ الطبري. الطبريّ: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الآمليّ (ت ٣١٠هـ). (١٩٦٧م). (ط٢). بيروت: دار التراث. في ١١ جزء.

٧. دفاع عن السُنَّة ورد شبه المُسْتَشْرِقِينَ والكتاب المعاصرين، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ) مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة، سنة ١٩٨٥م، في ٢٨٥ صفحة.

٨. الرد على مزاعم المستشرقين جولد تسهير ويوسف شاخت ومن أيدهما من المستغربين، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، في ٧١ صفحة.

٩. صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. للبخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) (ط١). جماعة من العلماء (تحقيق). بيروت: دار طوق النجاة. في ٩ أجزاء.

١٠. صحيح مسلم. (د.ط). مسلم بن الحجاج، القشيريّ، النيسابوريّ، أبو الحسين (ت ٢٦١هـ). محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨هـ) (تحقيق). بيروت: دار إحياء التراث العربي. في ٥ أجزاء.

١١. مرويات الإمام الزهري في المغازي، تأليف: محمد بن محمد العواجي، مجلدين، سنة ٢٠٠٤م.

١٢. من قضايا الفكر الإسلامي كما يراها بعض المستشرقين ص ٣٤٩-٣٥٠، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا ١٩٨٨م.